اختلاف المفسرين
حول آية التطهير

(The differences of interpreters regarding the verse of purification)

الباحث : م.م. حيدر برزان فليح
وزارة التربية : قسم علوم القران

Researcher: M.M. Haider Barzan Falih
Ministry of Education: Department of Quranic Sciences
Haiderbarzan112233@gmail.com

"بسم الله الرحمن الرحيم"

{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (الأحزاب ٣٣)

الملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين أبا القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم اجمعين الى قيام يوم الساعة والدين , اما بعد شهدت آية التطهير وهي الجزء الأخير من الآية (٣٣ من سورة الأحزاب) , قوله تعالى {إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} اختلاف بين المفسرين من كلا المذهبين (المذهب الشيعي والمذهب السني) كما هو الاختلاف الحاصل في اكثر آيات القران الكريم , حيث قال بعظهم من المذهب السني انها تخص نساء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم), وبعضهم من قال انها تشمل أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وذريته , ومنهم من قال بانها تشمل بني هاشم جميعا , والبعض الآخر من قال بانها تختص بالنبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) , وأما المذهب الشيعي فقال : انها تخص

اصحـاب الكسـاء بـلا خـلاف .
فهنالـك روايـات عديـدة حـول ذلـك الموضـوع كـما جـاءت مـن طـرق الشـيعة زادت عليهـا الروايـات مـن طـرق أهـل العامـة التـي ذكـرت عـلى أن آيـة التطهـير خاصـة في (أصحـاب الكسـاء) ولا دخـول لنسـاء النبـي (صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم) فيهـا , سـنبين ذلـك في بحثنـا ان شـاء اللـه تعـالى مسـتندين الى المصـادر التـي ذكـرت ذلـك .

Summary:
In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.
May peace and blessings be upon the best of prophets and messengers, Abul-Qasim Muhammad, and his pure and immaculate family, and may the everlasting curse be upon all their enemies until the Day of Judgment. To proceed:
The verse of purification, which is the latter part of verse 33 from Surah Al-Ahzab, wherein Allah Almighty says:
«Indeed, Allah desires to remove impurity from you, O People of the House, and to purify you thoroughly" — has been a subject of disagreement among commentators from both Islamic sects (i.e., the Shia and Sunni schools of thought), as is the case with many verses of the Holy Qur'an.
Some Sunni scholars have stated that it pertains specifically to the wives of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family), while others have said that it includes both his wives and his progeny. There are also those who believe it encompasses all of Banu Hashim, and others who hold that it is exclusively about the Prophet, Ali, Fatimah, Hasan, and Husayn (peace be upon them all).
As for the Shia school of thought, it maintains—without dispute—that the verse is specific to the People of the Cloak (Ahl al-Kisa'). There are numerous narrations supporting this view, reported through Shia sources, in addition to many narrations from Sunni sources that affirm the verse was revealed specifically about the People of the Cloak, with no inclusion of the Prophet's wives.
This, God willing, will be clarified in our research based on the sources that report and support this interpretation.

المبحـث الأول : سـنتناول في هـذا المبحـث مطلبـين , حيـث نذكـر في المطلـب الأول تعريـف الرجـس والتطهـير لغـة واصطلاحـاً معتمديـن عـلى كتـب اللغـة والتفسـير , وفي المطلـب الثـاني بيـان سـبب نـزول آيـة التطهـير بعـد جمـع عـدد مـن الروايـات هـل هـي نازلـة في أزواج النبـي (صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم) أم في النبـي وعـلي وفاطمـة والحسـن والحسـين (صلـوات اللـه عليهـم) أو كلاهـما , سـنبين ذلـك أن شـاء اللـه لمعرفـة فيمـن نزلـت آيـة التطهـير .

المطلب الأول : تعريف الرجس والتطهير لغةً واصطلاحاً :

أولا : الرجس لغةً واصطلاحا :

1 ـ الرجس في اللغة :

ـ يقول ابن منظور في لسان العرب ان الرجس هو الشيء القذر , ورجس الشيء يرجس رجاسة , وإنه رجس مرجوس , وكل رجس قذر , ورجس مرجوس .[1]

ـ ويقول ابن فارس أن الرجس : هو أصل يدل على الاختلاط , والرجس هو هدير البعير , وكذلك هو صوت الرعد , لأنه يتردد , والبعير رجاس , والسحاب رجاس , وقال ابن الأعرابي هذا راجس حسن أي راعد حسن , ومن الباب الرجس القذر لأنه خلط ولطخ .[2]

ـ يقول الزبيدي بأن الرجس : هو صوت شديد في الهدير , ورجس البعير هدر , وأن رجس فلان رجسا : قدر الماء , أي ماء البئر بالمرجاس , والسحاب راجس ورجاس , ومرتجس شديد الصوت , ويذكر الزبيدي ما قاله الزجاج بأن الرجس : هو كل عمل قذر , فالله سبحانه بالغ في ذم الأشياء فسماها رجسا .[3]

2 ـ الرجس في الاصطلاح :

ـ يقول صاحب تفسير الميزان : بان الرجس بالكسر و السكون وهو صفة من صفات الرجاسة تعني القذارة ، والقذارة هي الهيئة بالشيء التي توجب التنفر والتجنب منها ، فتكون في حسب ظاهر الشيء مثل رجاسة الخنزير ، قال تعالى : {أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ } الأنعام : ١٤٥ وفي حسب الباطن وهو رجاسة وقذارة معنوية (مثل الشرك , ومثل الكفر , ومثل أثر العمل القبيح)[4] ، وكما قال سبحانه في سورة الأنعام : { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ }[5] , وقوله تعالى في سورة التوبة :{ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ }[6].

ثانيا : التطهير لغةً واصطلاحاً :

1 ـ التطهير في اللغة :

ـ يقول ابن منظور بأن التطهير : هو الكف عن الإثم والتنزه , والرجل طاهر الثياب أي منزه , والتطهير, التنزه عن الشيء الذي لا يحل , كما يقال (وهم قوم يتطهرون) , يعني انهم قوم يتنزهون من الأدناس , وفي الحديث السواك تطهر الفم , يقال : الرجل طهر الخلق, وأنثى طاهرة , ويقال : أنه طاهر الثياب أي ليس في أخلاقه دنس .[7]

ـ يقول الراغب التطهير : هو التطهير الإلهي في قوله تعالى : { وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } , غير التطهير الذي هو إزالة النجاسة.[8]

2 ـ التطهير في الاصطلاح :

يقول صاحب كتاب الميزان ان التطهير في قوله تعالى : { وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } : هو إزالة أثر الرجس في إيراد ما يقابله, بعد إذهاب أصل الرجس ، فمن المعلوم

أن ما يقابل اعتقاد الحق هو الاعتقاد الباطل , فتطهيرهم يعني تجهيزهم بإدراك الحق في العمل والاعتقاد ، ويكون المراد من الإرادة أيضا هي غير الإرادة التشريعية عنما عرفت بان الإرادة التشريعية التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف , فلا تلائم المقام أصلا.[9]

المطلب الثاني : سبب نزول آية التطهير

سنبين في هذا المطلب سبب نزول آية التطهير معتمدين على الجمع بين روايات المفسرين من المذهبين , حيث أختلف علماء التفسير في سبب نزول آية التطهير هل هي نزلت في آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم في أزواجه لأنها في نفس الآيات التي فيها مخاطبة لنساء النبي , وهنا سوف نعرض عدد من الكتب والمصادر المعتمدة في التفسير للمذهب السني , ويليها بيان الروايات المتواترة في الكتب المعتبرة للمذهب الشيعي :

يقول الطبري في تفسيره جامع البيان : اختلف علماء التأويل في المقصود بقوله (أهل البيت) فبعظهم من قال : عُني به النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وعلي بن أبي طالب , وفاطمة بنت محمد , وولدهما الحسن والحسين (عليهم السلام) يذكر رواية في الذي يقول ذلك :

قال لي محمد بن المثنى : حدثنا بكر بن يحيى العنزي , قال حدثنا مندل , عن الأعمش , عن عطية , عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) : هذه الآية نزلت في خمسة : فيَّ , وفي علي (عليه السلام) , وفاطمة , والحسن والحسين (عليهم السلام) .

وكذلك يذكر رواية عن عائشة تقول : خرج النبي محمد (صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم) في أول النهار، وعليه كساء مرحل من الشعر الأسود، فأتى الحسن (عليه السلام) ، فأدخله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

ويذكر رواية عن أم سلمة انها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندي، وعلي ابن ابي طالب (عليه السلام) وفاطمة (سلام الله عليها) والحسن والحسين (عليهم السلام)، فجعلت لهم خزيرة، ثم أكلوا وناموا، وغطى عليهم العباءة أو القطيفة، ثم قال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي , أذهب عنهم الرجس " .[10]

روي عن حكيم ابن سعد أنه قال : ذكرنا عند أم سلمة علي ابن ابي طالب (عليه السلام) قالت : فيه نزل قوله تعالى : { انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } , قالت أم سلمة جاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيتي وقال لي (لا

تأذني لأحد) , فأتت أبنته فاطمة (عليها السلام) فلا أستطع أن أمنعها عن أبيها , ثم أتى الحسن (عليه السلام) فلا أستطع أن أمنعه عن الدخول الى جده سول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمه فاطمة (عليها السلام) , ثم جاء الحسين (عليه السلام) فلا أستطع أن أمنعه عن الدخول اليهم , فاجتمعوا حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على البساط , وجللهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكساء كان عليه , وقال : (هؤلاء أهل بيتي , فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا , فنزلت الآية عندما اجتمعوا على البساط , فقالت أم سلمة : ثم قلت : يا رسول الله وأنا , ثم قالت أم سلمة : فو الله ما أنعم , وقال (إنك على خير) .[11]

وآخرون قالوا عنى في ذلك نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويذكر في ذلك روايات منها : عن علقمة، قال: كان عكرمة ينادي في الأسوق في قوله تعالى: { انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا }, قال : نزلت هذه الآية في أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة.[12]

وقال البغوي في تفسيره معالم التنزيل في تفسير القرآن : المراد بأهل البيت هن زوجات النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهن في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , ويقول هذه الرواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .[13]

ويذكر ابن كثير في تفسير الآية بدخول نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أهل البيت , لأنهن السبب في نزول هذه الآية , ويذكر رواية لأبن جرير , عن عكرمة أنه كان ينادي في الأسواق ؛ { انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا }, أنها نزلت خاصة في نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وكذلك عن ابن عباس , وقال عكرمة : أنها نزلت في شأن أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن شاء باهلته , وإن كان المراد أنهن كنَّ السبب في النزول دون غيرهن فصحيح , فإن أريد أنهن المراد دون غيرهن فقط ففيه نظر , حيث وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك .[14]

حيث نكتفي بهذا القدر القليل من الروايات ولو اردنا عرض جميع الروايات لأطال البحث وأصبح كتاب مؤلف من عشرات الأجزاء , ولكن جمعنا بين الروايات لبيان الأدلة الواضحة في سبب ومكان نزول الآية , وإن أكثر الروايات عندهم تدل على نزول (آية التطهير) في بيت أم سلمة , وقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لأم سلمة أنتِ على مكانك وأنتِ على خير) , أو قوله إنكِ الى خير , فهذا دليل على حتى وأن كانت الآية قد نزلت في بيتها فأنها

ليست من أهل بيته المراد في الآية ودليل ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله) : إنكِ الى خير, ولم يدخلها النبي معهم تحت الكساء , وبعظهم من قال انها نزلت في بيت عائشة , وبعظهم من قال انها نزلت في بيت صفية , وحتى بعظهم من قال انها نزلت في بيت فاطمة (عليها السلام) , وأما الآن نعرض عدد من روايات الشيعة الاثنا عشرية التي تبين مكان وسبب نزول آية التطهير مستندين على الروايات على ان تكون المصادر المعتبرة . يقول صاحب كتاب التبيان : ان آية التطهير نزلت في أهل البيت (عليهم السلام), وهم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي ابن ابي طالب وفاطمة بنت محمد وسبطي النبي الحسن والحسين (عليهم السلام اجمعين) مستدلاً برواية عن أم سلمة , كما ذكرنا سابقا , ويقول استدل اصحابنا في هذه الآية على ان في جملة (اهل البيت) معصوماً لا يجوز الغلط عليه , وأن أجماعهم كان عين الصواب بأن قالوا لا تخلو إرادة الله تعالى لإذهاب (الرجس) عن أهل البيت من ان يكون هو ما أراده الله تعالى من فعل جميع الطاعات واجتناب كل معصية ، أو تكون عبارة اذهاب الرجس عنهم بأن يكون لطفاً من الله تعالى فاختاروا عنده الامتناع من جميع القبائح , فلا يكون اختصاص أهل البيت (عليهم السلام) في الارادة الأولى لأنها تشمل كل مكلف , فكيف يحمل على بطلان الآية من التخصص الحاصل في أهل البيت (عليهم السلام) التي تكون لهم فيها مزية وفضيلة على غيرهم على ان لفظة (إنما) تجري مجرى ليس , فيكون معنى الكلام : ليس يريد الله إلا إذهاب الرجس عن أهل البيت (عليهم السلام) , على أن إذهاب الرجس قد حصل فيهم , وهذا دليل على عصمتهم (عليهم السلام) و إذا ثبتت عصمتهم ثبت ما أردناه, وينفي ما قاله عكرمة انها خاصة في نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) , وهذا غلط لأنها لو كانت الآية خاصة فيهن لكني عنهن بالمؤنث فلا دخل لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها .[١٥]

عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) يقول ان الآية في قوله تعالى : { انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } نزلت في النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي علي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) والحسن والحسين (عليهم السلام) في بيت زوجت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سلمة , فدعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علي , وفاطمة , والحسن , والحسين (عليهم السلام), وألبسهم

الكساء الخيبري فدخل معهم وقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني , اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فنزلت هذه الآية , ثم قالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله , قال أبشري يا أم سلمة إنك الى خير, وقال ابو الجارود ان زيد ابن علي ابن الحسين (عليهم السلام) قال : ان من الناس جهالا يزعمون ان المراد في هذه الآية نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , فقد كذبوا واثموا ولو أراد فيها نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقال : ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا , فيكون الكلام مؤنث كما قال : لستن كأحد من النساء , واذكرن ما يتلى في بيوتكن , ولا تبرجن , وثم انقطعت مخاطبة أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاطب أهل بيت الرسول (عليهم السلام) .[16]

هذا ونكتفي في بيان سبب نزول الآية عل انها نزلت في النبي الأكرم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) ولا خلاف في المذهب الاثنا عشر على انها نزلت فيهم وعدم شمولها لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وكذلك اتفاق اكثر علماء العامة على انها نازلة فيهم مستندين على رواية أم سلمة , وعائشة , وغيرهم , ولكن الخلاف الحاصل هو ما رواه عكرمة مولى ابن عباس على خلاف ذلك بل قوله ونداءه في الأسواق على انها نازلة في نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ وهذا يتناقض مع ما رواه أغلب علمائهم على أنها نازلة في (أصحاب الكساء) (عليهم السلام) .

تفصيل مفردات الآية :

قوله تعالى: { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا } , ان كلمة (انما) هي تدل على الحصر في الإرادة في إذهاب (الرجس والتطهير) , وأن كلمة (أهل البيت) سواء كانت مجرد الاختصاص أو المدح , أو النداء , فإنها تدل على اختصاص (إذهاب الرجس والتطهير) في المخاطبين في قوله : (عنكم)، ففي الحقيقة ان في الآية قصران : القصر في اذهاب الرجس والتطهير في (أهل البيت) , وقصر الإرادة في اذهاب الرجس , والتطهير .

وليس المراد بـ (أهل البيت) أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة في مكان الخطاب الذي بقوله: (عنكم) , فلم يقل: (عنكن) فإما بأن يكون الخطاب لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولغيرهن كما قيل: في ان المراد بـ (أهل البيت) هم أهل مسجد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , أوهم أهل البيت الحرام , وهم المتقون , قوله تعالى: {ان أولياؤه الا المتقون}, أو أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين هم يصدق العرف

عليهم أهل بيته من أزواجه , وأقربائه وهم آل علي , وآل عباس , وآل عقيل , وآل جعفر , أو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأزواجه، ولعل هذا هو المراد مما نسب إلى عروة وعكرمة انها خاصة في نساء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أو الخطاب يكون لغير نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كما قيل: انهم أقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من آل علي , وآل عباس , وآل عقيل , وآل جعفر .

وعلى أي حال فان المراد بـ (إذهاب الرجس والتطهير) هو مجرد التقوى الديني في امتثال الأوامر والاجتناب عن النواهي , فالمعنى يكون أن الله تعالى لا ينتفع في توجيه هذه التكاليف إليكم وانما اراد اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم على حد قوله: {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم}[17] ، ولا يلائم المعنى هذا شيء من المعاني في (أهل البيت) السابقة لمنافاته البينة للاختصاص في مفهوم من (أهل البيت) لشموله الى عامة المسلمين المكلفين لأحكام الدين .

فان كان المراد بـ (اذهاب الرجس والتطهير) هو التقوى الشديد البالغ فان المعنى يكون : أن هذا التشديد في التكاليف المتوجه إليكن يا نساء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتضعيف في العقاب والثواب ليس لمنفعة الله سبحانه به , بل ليذهب عنكم الرجس ويطهركم , ويكون لشمول الخطاب لنساء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , ولغيرهن بعد تخصيصهن به ، فان هذا المعنى لا يتلائم لكون الخطاب خاص بغير نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الظاهر فلا عموم الخطاب لهن ولا لغيرهن , فلا يشاركهن الغير في تضعيف الثواب , والعقاب , والتشديد في التكليف.

فلا يقال: لماذا لا يجوز أن يكون الخطاب على هذا التقدير متوجه الى نساء النبي مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدة تكليفه كتكليف نسائه .

لأنه يقال: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤيد من الله تعالى (بالعصمة) التي هي موهبة من الله تعالى غير مكتسبة بالعمل فلا معنى من جعل تضعيف الجزاء وتشديد التكليف بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعني سبب أو مقدمة لحصول (التقوى الشديد) له امتنانا عليه على ما اعطاه سياق الآية , فلذلك لم يصرح في كون الخطاب متوجه إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معه فقط واحد من المفسرين , وانما احتملنا ذلك من اجل تصحيح قول من قال: بان الآية هي خاصة بنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وان كان

المراد (اذهاب الرجس والتطهير) هو إرادة الله تعالى ذلك مطلقا لا بتوجيه في التكليف الشديد ولا بتوجيه مطلق التكاليف , بل هو إرادة مطلقة لإذهاب الرجس والتطهير خاص لـ (أهل البيت) بما هم أهل البيت كان هذا المعنى ينافي لتقييد كرامة أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتقوى سواء كان المراد بالإرادة (إرادة التشريعية أو إرادة تكوينية) , وهذا دليل على ان الذي تقدم فيما ورد في أسباب النزول أن الآية نزلت في النبي محمد وابن عمه علي وبنته فاطمة وسبطيه والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) خاصة ولا يشترك فيها غيرهم .[١٨]

وهذه الروايات جمة تزيد على السبعين حديثا , حيث روتها أهل السنة من طرق عديدة أكثر مما رواها من طرق أهل الشيعة فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وعن أبي سعيد الخدري , ووائلة بن الأسقع , وسعد , وابن عباس , وأبي الحمراء , وثوبان مولى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وعبد الله بن جعفر, وعلي والحسن بن علي (عليهما سلام الله) ما يقارب من الأربعين طريقا.

وروتها أهل الشيعة عن أمير المؤمنين علي , وعلي السجاد , ومحمد الباقر , وجعفر الصادق وعلي الرضا (سلام الله عليهم) , وعن أم سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأبي ذر , وأبي الأسود الدؤلي , وأبي ليلى , وعمرو بن ميمون الأودي , وسعد بن أبي وقاص في بضع وثلاثين طريقا.

فان قيل: بان هذه الروايات فيما انها تدل على شمول الآية لعلي , وفاطمة والحسن , والحسين (عليهم السلام) فلا ينافي ذلك من شمول الآية لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) , لأن وقوع الآية يفيد في سياق خطابهن .

فنجيب : ان الكثير من هذه الروايات وخاصة المروية عن أم سلمة (وفي بيتها الآية نزلت) فإنها تصرح في اختصاصها بهم ولا تشمل نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

المبحث الثاني : يتكون المبحث الثاني من مطلبين : المطلب الأول وفيه اجماع المفسرين على نزول (آية التطهير) خاصة في أصحاب الكساء (عليهم السلام) , وأما المطلب الثاني بينا فيه عصمة أهل البيت (عليهم السلام) واختصاص الآية فيهم مستندين على الروايات وسوف نبين ذلك باختصار , مع ذكر رواة حديث الكساء من الفريقين وذكر المصادر .

المطلب الأول : اجماع المفسرين على ان (آية التطهير) نزلت في اصحاب الكساء(عليهم السلام) :

نبين في هذا المطلب اتفاق المفسرين من المذهبين على ان آية التطهير هي خاصة في اصحاب الكساء الخمسة وهم النبي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) , وانهم معصومون , وان الآية خاصة بهم لا يشاركهم فيها أحد , وكذلك عدم دخول نساء النبي فيها , ولا دخول من قال بانها تشمل اهل مكة , بل هي خاصة في (اصحاب الكساء الخمسة) التي جاءت بطرق كثيرة أما عن رواية أم سلمة أو رواية عائشة أو رواية ابي سعيد الخدري أو رواية صفية , وغيرها من الروايات الكثيرة المتعددة ولكنها تصب في مجرى واحد , وإليك بيان قول المفسرين :

يقول ابن حجر الهيثمي : ان أكثر المفسرين يقولون بان آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) , ويؤكد ابن حجر الهيثمي بانها نزلت في الخمسة وهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) مستدلا بعدد من الاحاديث وهذا ما أخرجه أحمد عن ابي سعيد الخدري, وما اخرجه ابن جرير, والطبراني أيضا , وذهب الثعلبي إلى ان المراد من (أهل البيت) في الآية جميع بني هاشم , وفي الرواية ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : بعد آية التطهير «أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم» , وفي أخرى وضع عليهم الكساء , ووضع عليهم يده ثم قال : «اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد» . [19]

فان ما قاله ابن حجر الهيثمي وما ذكر من روايات فيها دعاء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لهم دليل واضح على ان الآية نازلة على اصحاب الكساء(صلوات الله عليهم) وخاصة فيهم لا يشاركهم فيها أحد .

المطلب الثاني : الدليل على ان أهل بيت النبي(عليهم السلام) معصومون وان الآية مختصة بهم :

نبين في هذا المطلب من هم (أهل البيت) المعنيين في هذه الآية , وهل ان كلمة أهل البيت تطلق على ذرية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ام على جميع ساكني بيته أو انها تعني أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط , وبعدها نثبت بانها خاصة بـ(النبي , وعلي , وفاطمة , والحسن , والحسين «علهم السلام») ولا شمول لأحد بهذه الآية وانما اقتصرت بهم , وكيف استدل الشيعة على عصمتهم ؟ وماذا يعني بالعصمة ؟ .

ان كلمة (أهل البيت) عندنا بلا خلاف هم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن عمه علي وابنته فاطمة (عليهم السلام) , والاثنا عشر من ذرية علي وفاطمة (عليهم السلام) , فهذه الروايات مستفيضة كما جاءت من طرق الشيعة فمثله من طرق أهل السنة على ان أهل البيت هم ما ذكرناهم آنفا , واليك بيان ما ثبتناه من المذهبين وما جاء على النحو التالي :

ان كلمة (أهل البيت) لها معنى خاص في الكتاب والسنة المطهرة , فالمراد من أهل البيت هم : النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأمير المؤمنين علي , وفاطمة سيدة نساء العالمين , وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين (عليهم السلام) , فهؤلاء اقرب الناس الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعرفهم بدينه , ومن حيث العلم ,وأعلمهم بسنته ونهجة , وهناك روايات عديدة وصحيحة من الطرفين مصرحة بأسمائهم .[٢٠]

واستدل المذهب الشيعي على اختصاص الآية بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين علي وسيدة نساء العالمين فاطمة والأمام الحسن والأمام الحسين (عليهم السلام أجمعين) وأنهم معصومون من كل خطأ أو زلل , بأن قالوا :

إن لفظ كلمة (إنما) نافية لما لم يثبت , ومحققة لما أثبت بعدها فإن قول القائل: إنما في الدار زيد، وإنما لك عندي درهم، يقتضي أنه ليس في الدار غير زيد, وليس عنده غير الدرهم , فإن تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي إرادة محضة ، أو تكون إرادة التي يتبعها التطهير، وإذهاب الرجس, ولا يصح الوجه الأول، لأن الله سبحانه وتعالى انما أراد من كل مكلف «الإرادة المطلقة» ، فلا تختص بأهل البيت دون بقية الخلق، ولأن هذا القول يقتضي في التعظيم والمدح لهم، بغير شبهة ولا شك ، ولا يكون المدح في «الإرادة المجردة» , فثبت الوجه الثاني , ففي ثبوت الوجه الثاني ثبتت عصمة المعنيين في الآية من جميع القبائح , وقد علمنا أن من عدا من ذكرناهم من أهل البيت، غير مقطوع على عصمته، كما ثبت أن الآية مختصة بهم (عليهم السلام) ، وهذا بطلان تعلق الآية بغيرهم.

ومتى ما قيل : بإن صدر الآية وما بعدها في أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالقول فيه: فإن هذا لا ينكرمن العرف فعادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من الخطاب إلى غيره، ثم يعودون إليه، والقرآن الكريم فيه الكثير من ذلك ، وكذلك أشعار العرب وكلامهم , ثم عاد الله تعالى إلى ذكر نساء النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم) , فقال تعالى : {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة} , ومعناه ما قاله قتادة : واشكرن الله تعالى إذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وقيل: اذكرن أي: احفظن ذلك، وليكن منكن على بال أبدا، لتعملن بموجب ذلك ؛ وهذا حث لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحفظ القرآن الكريم , والأخبار، ومذاكرتهن بهما، والخطاب وإن اختص بنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فغيرهن من النساء يشاركهن فيه، لأن بناء الدين الإسلامي على القرآن الكريم والسنة النبوية . [٢١]

فهنا نبين ما المعنى المقصود أو ما المراد من البيت في لفظة (أهل البيت) هو ليس المسكن وانما هو بيت النبوة والرسالة , وان أهل البيت أي الأئمة الاطهار (عليهم السلام) هم الذين ولدوا وعاشوا في بيت النبوة , ونشأوا في بيت العلم والطهارة , وهذا يعني انهم يعرفون من رسول الله ما أوتيَ به الوحي لذلك تجدهم يجيبون على كل سؤال يوجه إليهم في جميع مجلات العلم والمعرفة فلا تجد هذا الشيء عند غيرهم مهما بلغت درجته .

روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عند قراءته قوله تعالى : { في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه }[٢٢] , فقام رجل الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له اي بيوت هذه يا رسول الله ؟ فأجاب النبي (عليه الصلاة والسلام) بيوت الأنبياء (عليهم السلام) فقام ابو بكر إليه وقال له : هذا البيت منها الى بيت علي وفاطمة (عليهم السلام) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (نعم من أفاضلها) , وإن صح هذا فلا ينبغي العدول عنه.[٢٣]

وعن علي ابن ابي طالب (عليه السلام) قال : « نحن بيت النبوة , ومعدن الحكمة , أمان لأهل الأرض , ونجاة لمن طلب « .

وقال الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) : (إنا أهل بيت النبوة) .[٢٤]

ومن خلال هذا المعنى توضح لنا بأن المراد من لفظة (أهل البيت) هو بيت النبوة والرسالة ومن ضمنها بيت علي وفاطمة (عليهم السلام) الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بيتهم : «من أفاضلها» .

يقول السيد الطباطبائي : ان ما يؤيد بان الآية نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) خاصة بهم لا يشاركهم أحد غيرهم هو ما ورد بأسباب النزول روايات كثيرة أكثر من سبعين حديثا يزيد ما ورد منها من طريق أهل العامة على ما ورد منها من طريق الشيعة الامامية , فقد روتها

أهل العامة في عدة طرق , منها عن أم سلمة , وعن عائشة , وعن أبي سعيد الخدري , وسعد , وثوبان مولى النبي , وعبد الله بن جعفر , وأبي الحمراء , ووائلة بن الأسقع , وابن عباس , وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي (عليهم السلام) في قرابة الأربعين طريقا , وراها الشيعة عن علي بن ابي طالب , والسجاد بن الحسين , ومحمد الباقر , وجعفر الصادق , وعلي الرضا (عليهم السلام) , وأبي ليلى , وأبي ذر , وأم سلمة , وأبي الأسود الدؤلي , وسعد بن أبي وقاص , وعمر بن ميمون الأودي , يزيد على ثلاثين طريقا؛ قلنا : إنما الشأن يكون في اتصال الآية بما قبلها من الآيات , فان هذه الأحاديث على كثرتها البالغة تنص على ان آية التطهير نزلت وحدها ، ولا توجد حتى رواية واحدة تنص على نزول هذه الآية في ضمن آيات نساء النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وحتى القائل باختصاص الآية بنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يذكر بانها نزلت ضمن آيات نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ينسب إلى عروة , وعكرمة ، فلم تكن الآية بحسب النزول جزءا من آيات زوجات النبي (صلى الله عليه وآله ويلم) ولا متصلة بها , وإنما وضعت بينها إما عند التأليف بعد الرحلة ، وإما بأمر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ,

وما يؤيد ذلك أن آية { وقرن في بيوتكن } على اتصالها وانسجامها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها ، فيكون موقع آية التطهير من آية { وقرن في بيوتكن } مثل موقع آية { اليوم يئس الذين كفروا } من آية محرمات الأكل من سورة المائدة .

وبالبناء فيما تقدم يصبح اللفظ في كلمة (أهل البيت) أسم خاص في عرف القرآن الكريم في هؤلاء الخمسة وهم (النبي محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» وعلي ابن أبي طالب وفاطمة بنت محمد والحسن والحسين «عليهم السلام») , فلا تطلق لفظة (أهل البيت) على غيرهم وأن كان من اقرباء الاقربين للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن كان بحسب العرف العام أطلاقه عليهم , وأن الرجس كما تقدم سابقا (بالكسر والسكون) فأنه صفة من الرجاسة التي تعني القذارة , وعليه فأن القذارة هي هيئة في الشيء التي توجب التنفر والتجنب منها , وتكون في حسب ظاهر الشيء مثل رجاسة الخنزير , قال الله تعالى : { أو لحم خنزير فإنه رجس }[٢٥], وتكون في حسب باطنه هو الرجاسة والقذارة المعنوية (مثل الشرك , وأثر العمل السيء , والكفر) , قال الله تعالى : { وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون }[٢٦], وقوله تعالى : { ومن يريد ان يضله

يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون }[٢٧] .

وأيا ما كان فهو أثر شعوري , وإدراك نفسي, وهو من تعلق القلب في الاعتقاد الباطل أو العمل السيئ , وإذهاب الرجس , فأن اللام فيها للجنس لإزالة كل الهيئة الخبيثة في النفس التي تخطئ حق العمل والاعتقاد , فهي فيها تطبيقا للعصمة الإلهية التي هي صورة علمية نفسانية التي تحفظ الإنسان من الاعتقاد الباطل , والعمل السيء.

وبعد ما عرفت أيها المخاطب بأن التشديد في التكليف أو الإرادة في التقوى , فهذا لا يلائم في اختصاص الخطاب في الآية بـ (أهل البيت) ، كما عرفت أيضا بأن الإرادة في ذلك لا يتناسب مع مقام النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من العصمة , فمن المتعين في ان حمل إذهاب الرجس في الآية على (العصمة) , فيكون المراد بالتطهير في قوله : { وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } , كما وقد أكد في المصدر في إزالة أثر (الرجس) بإيراد ما يقابله, بعد إذهاب أصله ، فمن المعلوم بأن اعتقاد الحق ما يقابله اعتقاد الباطل , فتطهيرهم هو تجهيزهم بإدراك الحق في الاعتقاد والعمل ، كما ويكون بأن المراد بالإرادة أيضا غير الإرادة التشريعية لما عرفت أن الإرادة التشريعية التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف فلا تلائم المقام أصلا.

وهذا يعني أن الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصكم بموهبة العصمة في إذهاب الاعتقاد الباطل , وأثر العمل السيئ عنكم (أهل البيت) , وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي (العصمة).[٢٨]

وبعد ما تبين لنا بأن الآية هي خاصة بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم (النبي محمد وأمير المؤمنين علي وفاطمة بنت محمد وسبطي الرسول الحسن والحسين «عليهم السلام اجمعين») , وأن حديث الكساء خاص بهم ,هنا سوف نبين (حديث الكساء) الذي جاء من طريق الفريقين من طريق أهل الشيعة كما جاء من طريق أهل العامة وهي روايات عدة .

رواة حديث الكساء من الفريقين :

روي حديث الكساء في كتب العامة المبين لـ (آية التطهير) في جمع كبير من الصحابة والتابعين الذين يؤكدون بأن نزول الآية في الخمسة (أصحاب الكساء) وهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) , وإليك رواة الحديث من الصحابة والتابعين من الفريقين :

من طريق أهل العامة :

فقد روي الحديث من طرق أهل العامة في روايات كثيرة منها من طريق زوجات الرسول , ومن اقربائه , ومن الصحابة , ومن التابعين , فمن زوجات الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم) كأم مسلمة , وعائشة , ومن الصحابة والتابعين كأنس بن مالك , وأبي سعيد الخدري , وعبد الله بن عباس , والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) , والإمام الحسن (عليه السلام) , والإمام علي بن الحسين (عليه السلام) , ووثبان مولى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأبي الحمراء مولى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) , وحكيم بن سعد , وشهر بن حوشب , وحمادة بن سلمة , ودحية ابن خليفة الكلبي, وزيد بن الأرقم , وأبو الدرداء , وسعد بن أبي وقاص , وعمر بن أبي سلمة , وزينب بنت أبي سلمة , وشداد بن عمار , وعبد الله بن جعفر , وعطاء بن أبي رباح , وعبد الله بن معين مولى أم سلمة , وعطاء بن ياسر , وعمرة بنت أفعى , وعطية العوفي , وقتادة , وواثلة بن الأسقع , ومحمد بن سوقة , ومعقل بن ياسر , ومجاهد بن جبر المكي , وأبي المعدل الطفاوي وغيرهم .

من طريق أهل الشيعة :

حيث روي الحديث الكساء من طريق الشيعة الاثنا عشرية ومحدثوهم وهي روايات عديدة من الأئمة المعصومون (عليهم السلام) كما روي من غيرهم , عن أمير المؤمنين أبو الحسن علي أبن أبي طالب (عليه السلام) , والإمام المجتبى الحسن بن علي (عليه السلام) , والإمام السجاد علي بن الحسين (عليه السلام) , والإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) , والإمام الرضا علي بن موسى (عليه السلام) .

وكما روي الحديث أيضا عن أبي ذر الغفاري , وأبي الأسود الدؤلي , وجابر بن عبد الله الأنصاري , وأنس بن مالك , أبي الحمراء مولى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , وأبي سعيد الخدري , وأم سلمة , وسعد بن أبي وقاص , وعبد الله بن عباس , وشهر بن حوشب , وعائشة , وعطية العوفي , وعطاء بن ياسر , وعلي بن زيد , وواثلة بن الأسقع , وعمر بن ميمون الأودي وغيرهم .[٢٩]

وهنا يتبين ان ما جاء من طريق أهل العامة عن حديث الكساء قرابة الأربعين طريقا ومن طرق الشيعة قرابة الثلاثين طريقا .[٣٠]

الهوامش:

١- أبن منظور, لسان العرب , ج٦ , ص٩٤

٢- أبـو الحسـين أحمـد بـن فـارس , معجـم مقاييس اللغة , ج٢ , ص٤٩٠

٣- الزبيدي , تاج العروس , ج٨ , ص٣٠٣

٤- العلامـة الطباطبـائي , تفسـير الميـزان , ج١٦ , ص٣١٢

٥- سورة الأنعام , الآية ١٢٥

٦- سورة التوبة , الآية ١٢٥

٧- ابن منظور , لسان العرب, ج٤ , ص٥٠٦

٨- الراغـب الاصفهـاني , المفـردات في غريـب القـرآن , ج١ , ص٦٦٠

٩- السـيد الطباطبـائي , تفسـير الميـزان , ج١٦ , ص٣١٣

١٠- الطبري , جامع البيان , ج٢٠ , ص٢٦٣

١١- الطبري , جامع البيان , ج٢٠ , ص٢٦٧

١٢- الطبري , جامع البيان , ج٢٠ , ص٢٦٧

١٣- البغـوي , معـالم التنزيـل في تفسـير القـرآن , ج٦ , ص٣٥٠

١٤- ابـن كثـير , تفسـير القـرآن العظيـم , ج٦ ص٣٦٥,٣٦٤

١٥- الطوسي , تفسير التبيان , ج٨ , ص٣٤٠,٣٣٩

١٦- عـلي بـن إبراهيـم القمـي , تفسـير القمـي, ج٢ , ص١٩٣

١٧- سورة المائدة , الآية ٦

١٨- السـيد الطباطبـائي , تفسـير الميـزان , ج١٦ , ص٣٠٩

١٩- ابـن حجـر الهيثمـي , الصواعـق المحرقـة عـلي أهـل الرفض والضـلال والزندقـة ، ج ٢ ص ٤٢٤,٤٢١

٢٠- القنـدوزي الحنفـي , ينابيـع المـودة , ج٣ , ص٢٨١

٢١- الطبرسي , مجمع البيان ,ج٨ , ص١٥٨,١٥٧

٢٢- سورة النور, آية ٣٦

٢٣- الآلوسي , تفسير الآلوسي , ج١٨ , ص١٧٤

٢٤- مـودة أهـل البيـت (عليهـم السـلام) , مركـز الرسـالة , ص١٤

٢٥- سورة الأنعام , الآية ١٤٥

٢٦- سورة التوبة , الآية ١٢٥

٢٧- سورة الأنعام , الآية ١٢٥

٢٨- الطباطبائي , الميزان , ج١٦ , ص ٣١٣,٣١١

٢٩- راجـع مـودة أهـل البيت(عليهـم السـلام) , مركـز الرسـالة , ص٢٢,١٦

٣٠- راجـع تفسـير الميـزان , العلامـة الطباطبـائي , ج١٦ , ص٣١١